عشق الغلام فعاقبه الله بسوء الختام

لفضيلة الشيخ المربي أبي عمار

محمد بن عبد الله باموسى

حفظه الله تعالى

قناة الشيخ محمد باموسى bamusa.al3ilm.com

بسم الله الرحمن الرحيم

عشق الغلام فعاقبه الله بسوء الختام

٩/٦/١٤٤٤ هـ

قال شيخنا أبو عمار محمد بن عبدالله (باموسى) وفقه الله[١]، في كتابه الذي سارت به الركبان:

(سرعة العقاب لمن خالف السنة والكتاب)

(ص: ٢٨٤- ٢٩٣):

قال ابن القيم[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ويروى أن رجلاً عشق شخصاً فاشتد كلفه به، وتمكن حبه من قلبه، حتى وقع ألماً به، ولزم الفراش بسببه، وتمنَّع ذلك الشخص عليه، واشتد نفاره عنه، فلم تزل الوسائط يمشون بينهما، حتى وعده بأن يعوده، فأخبر بذلك البائس ففرح واشتد فرحه، وانجلى غمه، وجعل ينتظره للميعاد الذي ضرب له، فبينما هو كذلك إذ جاءه الساعي بينهما، فقال له: إنه وصل معي إلى بعض الطريق ورجع، ورغبت إليه وكلمته، فقال: إنه ذكرني وفرح بي، ولا أدخل مداخل الريب، ولا أعرض نفسي لمواقع التهم، فعاودته فأبى وانصرف، فلما سمع البائس أسقط في يده، وعاد إلى أشد مما كان به، وبدت عليه علائم الموت، فجعل يقول في تلك الحال:

يا سلّم يا راحة العليل ... ويا شفاء المدنف النحيل

رضاك أشهى إلى فؤادي ... من رحمة الخالق الجليل

فقلت له: يا فلان اتق الله، قال: قد كان، فقمت فما جاوزت باب داره حتى سمعت صيحة الموت.

فعياذاً بالله من سوء العاقبة، وشؤم الخاتمة.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **معقباً على هذه القصة**: «وهذه زلة شنعاء، وعظيمة صلعاء، وداهية دهياء، ولولا أن هؤلاء الأئمة ذكروها ما ذكرتها، ولكن فيها عبرة لأولي الألباب، وتنبيه لذوي البصائر والعقول، أن يسألوا الله رحمته وعافيته، وأن يستعيذوا بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وأن يرزقهم حسن الخاتمة عند الممات إنه كريم جواد».

---

(١) القائم على دار الحديث ومركز السلام العلمي للعلوم الشرعية، الحديدة – اليمن، عفا الله عنه وعن والديه ومشايخه وجميع المسلمين.

(١) «الداء والدواء» (ص:٢٥٩-٢٦٠)، «البداية والنهاية» (١٥/ ٦٥٤-٦٥٥)، «المنتظم» لابن الجوزي (٨/ ٨٦)، «ذم الهوى» (ص:٥٦٠).

قلت: وقد ذكر القصة مفصلة الإمام ابن حزم[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ **حيث قال:** حدثني أبو عبد الله محمد بن الحسن المذحجي، قال: كنت أختلف في النحو إلى أبي عبد الله محمد بن خطاب النحوي في جماعة، وكان معنا عنده أبو الحسن أسلم بن أحمد بن سعيد بن قاضي الجماعة وأسلم بن عبدالعزيز، صاحب المزني والربيع، قال محمد ابن الحسن: وكان من أجمل من رأته العيون، وكان يجيء معنا إلى محمد بن خطاب، أحمد بن كليب، وكان من أهل الأدب البارع، والشعر الرائق، فاشتد كلفه بأسلم، وفارق صبره، وصرف فيه القول متستراً بذلك إلى أن فشت أشعاره فيه وجرت على الألسنة، وتنوشدت في المحافل، فلعهدي بعرس في بعض الشوارع بقرطبة، والنكوري الزامر قاعد في وسط الحفل، وفي رأسه قلنسوة وشي وعليه ثوب خز عبيدي، وفرسه بالحلية المحلاة يمسكه غلامه، وكان فيما مضى يزمر لعبد الرحمن الناصر، وهو يزمر في البوق بقول أحمد بن كليب في أسلم: «من المتقارب».

أسلمني في هواه ... أسلم هذا الرشا
غزال له مقلة ... يصيب بها من يشا
وشى بيننا حاسد ... سيسأل عما وشى
ولو شاء أن يرتشي ... على الوصل روحي ارتشى

ومغن محسن يسايره فيها، قال: فلما بلغ هذا المبلغ انقطع أسلم عن جميع مجالس الطلب، ولزم بيته والجلوس على بابه، فكان أحمد بن كليب لا شغل له إلا المرور على باب دار أسلم سائراً، ومقبلاً نهاره كله، فانقطع أسلم عن الجلوس على باب داره نهاراً، فإذا صلى المغرب واختلط الظلام خرج مستروحاً وجلس داره نهاراً، فإذا صلى صبر أحمد بن كليب، فتحيل في بعض الليالي ولبس جبة من جباب أهل البادية، واعتم بمثل عمائمهم، وأخذ بإحدى يديه دجاجاً، وبالأخرى قفصاً فيه بيض، وتحين جلوس أسلم عند اختلاط الظلام على بابه، فتقدم إليه وقبل يده، وقال يأمر مولاي بأخذ هذا، فقال له أسلم: ومن أنت فقال: صاحبك في الضيعة الفلانية، وقد كان تعرف أسماء ضياعه وأصحابه فيها، فأمر أسلم بأخذ ذلك منه، ثم جعل أسلم يسأله عن الضيعة، فلما جاوبه أنكر الكلام وتأمله فعرفه، فقال له: يا أخي! وهنا بلغت بنفسك، وإلى هاهنا تبعتني، أما كفاك انقطاعي عن مجالس الطلب، وعن الخروج جملة، وعن القعود على بابي نهاراً، حتى قطعت علي جميع ما لي فيه راحة، فقد صرت من سجنك. والله، لا فارقت بعد هذه الليلة قعر منزلي، ولا قعدت ليلاً ولا نهاراً على بابي. ثم قام وانصرف أحمد بن كليب كئيباً حزيناً.

قال محمد بن الحسن: واتصل ذلك بنا، فقلنا لأحمد بن كليب، وخسرت دجاجك وبيضك.

---

(١) «رسائل ابن حزم الأندلسي» (١/ ٣١٨).

فقال: هات كل ليلة قبلة يده وأخسر أضعاف ذلك.

قال: فلما يئس من رؤيته ألبته نهكته العلة، وأضجعه المرض.

قال محمد بن الحسن: فأخبرني أبو عبد الله محمد بن خطاب شيخنا، قال: فعدته فوجدته بأسوأ حال.

فقلت له: ولم لا تتداوى.

فقال: دوائي معروف، وأما الأطباء فلا حيلة لهم في ألبته.

فقلت له:وما دواؤك.

فقال: نظرة من أسلم، فلو سعيت في أن يزورني لأعظم الله أجرك بذلك، وكان هو والله أيضاً يؤجر.

قال: فرحمته وتقطعت نفسي له، ونهضت إلى أسلم فاستأذنت عليه، فأذن لي وتلقاني بما يجب، فقلت له: لي حاجة.

قال: وما هي؟

قلت: قد علمت ما جمعك مع أحمد بن كليب من ذمام الطلب عندي. فقال: نعم، ولكن قد تعلم أنه برح بي، وشهر اسمي وآذاني.

فقلت له: كل ذلك يغتفر في مثل الحال التي هو فيها، والرجل يموت، فتفضل بعيادته، فقال والله ما أقدر على ذلك، فلا تكلفني هذا، فقلت له: لابد، فليس عليك في ذلك شيء، وإنما هي عيادة مريض، قال: ولم أزل به حتى أجاب، ولا خلف، قال: نعم، فانصرفت إلى أحمد بن كليب، وأخبرته بموعده بعد تأبيه، فسُر بذلك وارتاحت نفسه. قال: فلما كان الغد بكرت إلى أسلم وقلت له: الوعد، قال: فوجم، وقال: والله لقد تحملني على خطة صعبة علي، وما أدري كيف أطيق ذلك. قال: فلما أتينا منزل أحمد بن كليب، وكان يسكن في آخر درب طويل، وتوسط الدرب، وقف واحمر وخجل، وقال لي: الساعة والله أموت، وما أستطيع أن أنقل قدمي، ولا أن أعرض هذا على نفسي، فقلت: لا تفعل، بعد أن بلغت المنزل تنصرف، قال: لا سبيل والله إلى ذلك ألبته، قال: ورجع مسرعاً فاتبعته، وأخذت بردائه فتمادى وتمزق الرداء، وبقيت قطعة منه في يدي لسرعته وإمساكي له، ومضى ولم أدركه، فرجعت ودخلت إلى أحمد بن كليب، وقد كان غلامه دخل عليه إذ رآنا من أول الدرب مبشراً، فلما رآني تغير، وقال: وأين أبو الحسن؟ فأخبرته بالقصة، فاستحال من وقته واختلط، وجعل يتكلم بكلام لا يعقل منه أكثر من الترجع، فاستشنعت الحال، وجعلت أترجع وقمت، فثاب إليه ذهنه، وقال لي: أبا عبد الله! قلت: نعم. قال: اسمع مني واحفظ عني، ثم أنشأ يقول: (مخلع البسيط)

أسلم يا راحة العليل ... رفقاً على الهائم النحيل
وصلك أشهى إلى فؤادي ... من رحمة الخالق الجليل

قال: فقلت له: اتق الله! ما هذا العظيمة، فقال لي: قد كان.

قال: فخرجت عنه، فوالله ما توسطت الدرب، حتى سمعت الصراخ عليه، وقد فارق الدنيا.

قلت: انظروا إخواني الكرام إلى سوء الختام، وإلى الذل والهوان لمن ابتلي بعشق المردان، ولم يراقب الملك العلام، فمات ذليلاً حقيراً مهاناً، فحسبنا الله وعليه التكلان.

ولله در ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **حيث قال**(١): «وكم من عاشق أتلف في معشوقه، ماله، وعرضه، ونفسه، وضيع أهله، ومصالح دينه ودنياه، وكم أكبت فتنة العشق رؤوساً في الجحيم، وأسلمتهم إلى مقاساة العذاب الأليم، وكم أخرجت من شاء الله من العلم والدين، وكم أزالت من نعمة، وأحلت من نقمة، وكم أنزلت من معقل عزة عزيز، فإذا هو من الأذلين، ووضعت من شريف رفيع القدر والمنصب، فإذا هو أسفل سافلين، وكم كشفت من عورة، وأحدثت من روعة، وأعقبت من ألم، وأحلت من ندم» اهـ.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في كلامه على أقسام العشق**(٢): «وعشقٌ هو مقتٌ من الله، وبعد من رحمته، وهو أضر شيء على العبد في دينه ودنياه، وهو عشق المردان، فما ابتلي به إلا من سقط من عين الله، فطرد عن بابه، وأبعد قلبه عنه، وهو من أعظم الحُجب القاطعة عن الله، كما **قال بعض السلف**: إذا سقط العبد من عين الله ابتلاه بمحبة المردان.

وهذه المحبة هي التي جلبت على قوم لوط ما جلبت، فما أُتوا إلا من هذا العشق، قال تعالى ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر:٧٢].

ودواء هذا الداء: الاستغاثة بمقلب القلوب، وصدق اللجؤ إليه، والاشتغال بذكره، والتعوُّض بحبه وقربه، والتفكر في الألم الذي يعقبه هذا العشق، واللذة التي تفوته به، فيترتب عليه فوات أعظم محبوب، وحصول أعظم مكروه، فإذا أقدمت نفسه على هذا وآثرته، فليكبر عليها تكبير الجنازة، وليعلم أن البلاء قد أحاط بها» اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): **عندما سئل عن أقوامٍ يعاشرون المردان.**

وقد يقع من أحدهم قبلة ومضاجعة للصبي، ويدّعون أنهم يصحبون لله، ولا يعدُّون ذلك ذنباً ولا عارًا.

---

(١) «روضة المحبين» (ص:٢٢٧، ٢٣٣،٢٣٢).

(٢) «الداء والدواء» (ص:٣٧٠).

(٣) «فتاوى شيخ الإسلام» (٣٢/ ٢٤٧-٢٤٩).

ويقولون: نحن نصحبهم لغير خنا، ويعلم أبو الصبي بذلك وعمه وأخوه فلا ينكرون، فما حكم الله تعالى في هؤلاء؟

وماذا ينبغي للمرء المسلم أن يعاملهم به والحالة هذه؟

فأجاب: الحمد لله، الصبي الأمرد المليح بمنزلة المرأة الأجنبية في كثير من الأمور، ولا يجوز تقبيله على وجه اللذة، بل لا يقبِّله إلا من يؤمن عليه، كالأب، والإخوة، ولا يجوز النظر إليه على هذا الوجه باتفاق الناس، بل يحرم عند جمهورهم النظر إليه عند خوف ذلك، وإنما ينظر إليه لحاجة بلا ريبة مثل معاملته، والشهادة عليه، ونحو ذلك كما ينظر إلى المرأة للحاجة.

وأما مضاجعته فهذا أفحش من أن يسأل عنه، فإن النبي ﷺ قال: «**مُرُوهُمْ بِالصَّلَاةِ لِسَبْعٍ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ**»(١)، إذا بلغوا عشر سنين ولم يحتلموا بعد، فكيف بما هو فوق ذلك؟!

وإذا كان النبي ﷺ قد قال: «**لَا يَخْلُو رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ**»(٢).

وقال: «**إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ**»، **قَالُوا يَا رسول الله: أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟ قَالَ**: «**الْحَمْوُ الْمَوْتُ**» فإذا كانت الخلوة محرمة لما يخاف منها فكيف بالمضاجعة؟

وأما قول القائل: إنه يفعل ذلك لله، فهذا أكثره كذب، وقد يكون لله مع هوى النفس، كما يدَّعي من يدَّعي مثل ذلك في صحبة النساء الأجانب، فيبقى كما قال تعالى في الخمر ﴿فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾[البقرة:٢١٩].

وقد روي عن المشايخ من التحذير من صحبة الأحداث ما يطول وصفه. وليس لأحد من الناس أن يفعل ما يفضي إلى هذه المفاسد المحرمة، وإن ضم إلى ذلك مصلحة من تعليم أو تأديب، فإن المردان يمكن تعليمهم وتأديبهم بدون هذه المفاسد التي فيها مضرة عليهم، وعلى من يصحبهم، وعلى المسلمين بسوء الظن تارة، وبالشبهة أخرى، بل روي أن رجلًا كان يجلس إليه المردان فنهى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن مجالسته.

ولقي عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شابًّا فقطع شعره لميل بعض النساء إليه، مع ما في ذلك من إخراجه من وطنه، والتفريق بينه وبين أهله.

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٦٦٨٩) وأبو داود (٤٩١) وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٨٦٩).

(٢) قطعة من حديث رواه أحمد في «المسند» (١١٤) والترمذي (٢٢٥٤) والحاكم (٣٨٧) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (١١١٦) «صحيح الجامع» (٢٥٤٦)، رحمة الله على الجميع.

ومن أقر صبياً يتولاه مثل: ابنه، أو أخيه، أو مملوكه، أو يتيم عند من يعاشره على هذا الوجه، فهو ديوثٌ ملعون، «**ولا يدخل الجنة ديوث**»(١)، فإن الفاحشة الباطنة ما يقوم عليها بينة في العادة، وإنما تقوم على الظاهرة، وهذه العشرة القبيحة من الظاهرة ، وقد قال الله تعالى﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[الأنعام:١٥١].

فلو ذكرنا ما حصل في مثل هذا من الضرر والمفاسد، وما ذكره العلماء لطال، سواء كان الرجل تقياً أو فاجراً، فإن التقي يعالج مرارة في مجاهدة هواه وخلاف نفسه، وكثير ما يغلبه شيطانه ونفسه، بمنزلة من يحمل حملًا لا يطيقه فيعذبه أو يقتله، والفاجر يكمل فجوره بذلك والله أعلم.

وقفــة:

اعلم ـ رحمني الله وإياك ـ: أن أمر الخاتمة، وما يُحذر من سوئها، أمر إذا ذكرته حق ذكره ازداد قلبك خوفاً وخشيةً من الله عز وجل، وابتعدت عن معصيته، وسارعت إلى طاعته، ولولا أن الله سبحانه وتعالى حدد الآجال فقال: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾[الرعد: ٣٨]، لزهقت الأنفس عند أول ذكره، كيف لا، والخوف من سوء الخاتمة هو الذي طيَّش قلوب الصديقين، وأرهب أفئدتهم في كل حين، لماذا لا يخافون من سوء الخاتمة؟ والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، ومن منا لا يخاف على نفسه سوء الخاتمة؟ وما الذي أمَّنه منها؟ والخاتمة مغيبة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٤٣٧) وأبو داود الطيالسي في «مسنده» (٦٤٢) عن رجل من قريش رفعه. قال البوصيري في «إتحاف الخيرة المهرة» (٤/ ٧٠) رقم (٣١٨٩) و (٥/ ٤٣١) رقم (٤٩٧٩): هذا إسناد ضعيف؛ لجهالة بعض رواته، لكن المتن له شاهد في «مسند أحمد» من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة قد حرم الله ـ تبارك وتعالى ـ عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والديوث الذي يقر في أهله الخبث» وصححه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٥٢).

وقد جاء في الخبر الصحيح الذي رواه مسلم[1] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

وقال ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ» رواه البخاري[2].

فكم سمعنا يا إخوتاه عمن آمن ثم كفر في هذا الزمن، بل وفي زمن خير البشر، وكم رأينا من استقام ثم انحرف وانتكس، وكم من داعية للخير والسنة أصبح داعية للشر والبدعة، وكم من طالب علم أصبح طالب دنيا، وكم وكم...

فيا إخوتاه: كيف تقر عين عاقل في هذه الدار؟ وكيف يستقر له فيها قرار، مع هذا الحال؟

فتزودوا إخواني من دنياكم قبل الممات، وتداركوا هفواتكم قبل الفوات، وحاسبوا أنفسكم وراقبوا الله في الخلوات، وتفكروا فيما أراكم من الآيات، وبادروا بالأعمال الصالحات، واستكثروا في أعماركم القصيرة، وأيامكم القليلة من الحسنات، قبل أن ينادي بكم منادي الشتات، قبل أن يفجأكم هادم اللذات، قبل أن يتصاعد منكم الأنين والزفرات، قبل أن تتقطع قلوبكم عند فراقكم حسرات، قبل أن يغشاكم من غم الموت والغمرات، وقبل مفارقة القصور إلى بطون الخلوات، وقبل أن يحال بينكم وبين ما تشتهون، ولذلك إخواني في الله كان صلوات ربي وسلامه عليه كثيرًا ما يردد: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِيَ عَلَى دِينِكَ». أخرجه الترمذي[3].

---

(١) «مسلم» (٢٦٥١).

(٢) «البخاري» (٦٦٠٧).

(٣) «سنن الترمذي» (٢٢٢٦)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢٧٩٢)، «صحيح الجامع» (٧٩٨٧) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.